

## حول «شجرة العائلة» للشاعر العراقي على جعفر العلاق

تميزت الموجة الثالثة في حركة الشعر الحديث بهذا المنهج الأسلوبى الذى يعتمد على الصورة الشعرية باعتبارها عصب البنية الفنية للقصيدة. ويتجاوز مفهوم الصورة لدى شعراء هذه الموجة إطار المجازات والاستعارات إلى نوع من العناقيد الصورية التى تحتزن موروثا ثقافيا وتداعيات لا شعورية واختراقات للواقع تنهض على مفهوم جديد للتجربة الشعرية ليس باعتبارها انعكاسا للواقع بل باعتبارها واقعا فنيا موازيا له قوانينه الخاصة به وإن كان لا يقطع صلته بحركة الحياة من حوله. وقد أسرف بعض الشعراء فى الاتكاء على أحد عناصر هذه الصورة وهى التداعى اللاشعورى بحيث أدى سوء استخدامهم لهذا العنصر وتجاهلهم للعناصر الأخرى وخاصة الموروث الثقافى إلى ظهور نماذج أقرب إلى المشاهد السريالية فى مسرحيات غير مكتملة تفتقد التماسك وتمتلى بالادعاء حول الحداثة الشعرية مما أدى إلى طغيان الغموض فى هذا الشعر، ولكن بعض الشعراء خاصة الذين تمكنهم ثقافتهم وتسعفهم موهبتهم استطاعوا أن يؤسسوا رؤية شعرية فوق مرتكزات من الوعى بالشعر الحقيقى وتجسيد هذا فى نماذج تعد تمثيلا أصيلا لهذه الموجة ومن هؤلاء الشاعر العراقي الدكتور على جعفر العلاق. وقد صدر الديوان الأول لهذا الشاعر عام ١٩٧٣ م بعنوان «لا شىء يحدث لا أحد يجىء»

ثم صدر ديوانه الثانى «وطن لطيور البحر» عام ١٩٧٥م ويجىء ديوانه الثالث «شجرة العائلة» الذى صدر عام ١٩٧٩م ليؤكد أننا أمام شاعر يمتلك رؤية شعرية عميقة تضيئها ثقافة واسعة وإدراك شامل لطبيعة الشعر ووظيفته ويضم الديوان عشر قصائد تدور فى معظمها حول تجارب وجودية تجعل من الذات جذرا لها ولكنها تمتد حول هذه الذات فى دائرة تتسع للواقع الذى يحيط بها - الحب - الصداقة - الوطن - الاغتراب - الشوق - الزمن.

إن تجارب هذا الديوان تصطبغ بالذاتية التى تعد مرتكز التجربة الشعرية لجيل السبعينيات كله ولكن وعى الشاعر وثقافته يجعلان من هذه الذاتية وعاء لاحتواء الواقع. إنها ذات فى حالة حوار شعرى مع الوجود. أما الأسلوب الفنى فإنه يكتسى بمسحة شبه أسطورية تورق فى أعطافه صور شعرية مركبة. إن الغموض الشفيف يفصح عن طبقات من الشعور تتراوح بين الحسرة والكشف والدهشة والغياب. إن القصيدة لدى جعفر العلاق مزدحمة بالاحتمالات غنية بالدلالات تومئ ولا تبين ولكنها فى النهاية تهدى إلى اليقين. اليقين الشعرى الذى يسكن الحواس والوجدان معا فى قصيدته «سيدة الفوضى» يلاحق الشاعر حلما وهما. إنها قصيدة الأسئلة والحيرة، ولكنها برغم أنها مفعمة بالقلق فهى تنطوى على فرح أقرب إلى فرح الحب، يقول الدكتور على جعفر العلاق فى قصيدة «سيدة الفوضى»:

من أين جاءت

هذه السيدة؟

فحركت غدراننا الراكدة  
ألم يصح فى وجهها عاذل  
ألم تخف من ريحنا الباردة  
نشهد أنا ما رأينا هوى  
مثل هواها  
قبيل ألقى بها  
قبيلة، ألقى بها مركب مطاردة  
أو قبيل ألقى بها سحابة خفيفة صاعدة  
يقال أو قبيل ولكنها  
أشاعت الفوضى  
كما تشتهى  
وأجرت الريح كما تشتهى  
وأيقظت قطعاننا كلها  
وأشعلتنا دفعة واحدة  
من أين جاءت تلكم السيدة؟  
وأين غابت تلكم السيدة؟  
قالت «وداعا»

ثم لم تلتفت لريحنا المهمومة الباردة

فى هذه القصيدة القصيرة يلعب الغموض دورا حيويا فى الثراء الفنى الذى تنطوى عليه لأن الغموض يمثل نوعا من الغواية الشعرية التى يلجأ إليها الشاعر لكى لا يكشف عن أقنعه ولكى يحتفظ بلذة سره الفنى فى الوقت نفسه، وهى تحمل من الدلالات بقدر ما تستطيع بديهية القارئ

ووعيه أن يصلإ إليه. هل هى امرأة أم ثورة أم حالة شعورية أم تجربة  
ميتافيزيقية؟ إنها الاحتمالات التى يصنع منها الشاعر يقينه الفنى ثم  
يتحدث العلاق عن مأساة بيروت فى قصيدة «الظبية القادمة»، فىقول:

يتقدمها دمها  
تتعثر ما بين جثة طفل  
وأشلاء قبرة  
أو بقايا رداء  
والصدى يتناثر  
من تلكم القادمة؟  
من هوى البحر غاسلة؟  
ثوبها. وتردها  
بالحصى والدماء  
متخطية ساحة الذعر  
بين يديها دم مثمر  
موعد للعثور على الأهل  
أو زهر الصبر أو جثث الأصدقاء

إن الشاعر لا يسكب أماننا مشاعره الحسيرة على بيروت التى تقتل  
نفسها وإنما يرسم مشهدا يمتلئ بالمفارقة بين القبح والجمال بين الحب  
والكراهية وبين النبل والجريمة ثم يطرح أسئلته الخالدة:

تلك بيروت  
أم حجر الأضرحة

تلك نار السواحل  
أم مذبحه  
سنقايض فيها دما بدم  
وهوى بهوى فاتركى وحشة البحر أيتها السيدة  
وتلقى هوى الأرض  
ريانة مجهدة  
واسمعى نبض أيامها  
إن بيروت نار وماء  
إن بيروت مذبحه ليس أعدل منها  
وبيروت منقوعة  
بدماء اللصوص الأنبيقين والأنبياء

أما قصيدة «شجرة العائلة»، فهي شلال من الأسئلة الرومانسية حول  
افتقاد الجذور وإمعان السير نحو الينابيع. إنها التفاتة شعرية نحو  
الجذور يشيع فيها الوهن والأمل. قصيدة تجمع بين القلق الكامن في  
إدراك حقيقة ما يصنع الزمن وبين الضوء الكامن في الألفة والحب في  
الضوء والأسئلة. إن ديوان «شجرة العائلة» للشاعر العراقي على جعفر  
العلاق نموذج بديع للإضافة الفنية التي قدمتها الموجة الثالثة في حركة  
الشعر الحديث ليس فقط في نطاق الشعر العراقي المعاصر بل في إطار  
الشعر العربي خاصة في عقد السبعينيات. إنه ومضة غامضة مليئة  
بالضوء والندى والشعر الأصيل.

